المحـ ـرر

مهداة إلى الشعب الفلسطيني

مزّق الغيوم عن بدرك الرائعْ
فما أحلام روحك تنطفي
في جسدٍ شاب مرّ الحلاوة
أو بإكليل شوكٍ
ولا على أفواه المساميرْ.

الخطيئة ترى موتكْ
حاصرتك حتى النفس الأخيرْ
لا ترى فيك انتصاراً
على الموت، لا ولا انتشاراً
لعبير الحياة
يعبق في كل قلبٍ
مجنح أحلى من النوّارْ.

يا أيها الإنسان لست إلهاً
ولكن كم فيك من نفس الإله!
احترقا معا ، تربأ وشوقا
تبادلا الحب واتحدا
وعد إلينا لهبا.

وفي الظلام تلمع عيون العناكبْ
تنسج حولك الشباكْ
وغربان أيديها على الزنادْ
تنتظر ساعة تلعق جراحكْ.

وشاعرُ في الغاب يحلمْ
بانفجار الأعجوبة
بميزان نقي الأوزانْ
يأتي في آخر الأزمانْ
وحورية لم تزيفها الألوانْ
تشد من أزرهْ
تسكب في روحه الأمانْ
وعصاً تقرع الوجوه الصفيقة كلها.

غريب في ليل غريبْ
تخبئه السماء في صدرها
لفجرها القريبْ
تنهّدْ
لاتاجاً من ذهب يريدْ
لا قصراً، لا مالا،
لا جنة الرشيدْ
لا شيء إلا الزلزالَ
يطهّر الأرض من ظلمها
يحرر العبيدْ.

متى تشتعل الصدورْ؟
تثاءب الرجال في الخدورْ
واستعذب القوم الحبورْ
وقربهمْ
تئن الأرض تنحسر القبورْ
وتطل منها أعين الضحايا
ألف ألفٍ من عيون لامعة
انطفأت على ساح الفجورْ
ألف ألفٍ من عيون دامعة
هطلت فوق جلمود الصخورْ
أنّت الأرض ولكنْ
ليس من أجل النشورْ.

كان قرب النار يلتهم العشّية
من نورها الوهاجْ
حكمة الأبدية
يقيس أبعاد الترابْ
طارت عليه الخيل والسواعدْ
تقتطف النجوم وتزرع الفراقدْ
بحّارٌ في مركب يجالدْ
هذيان العناصر يعانق كل المرافئْ
يدحرج في الغور الساحرات
ويرعش في الكهف قرصان الشواطئْ.

يا غضباً نبيلاً كان يضرب عظم الأرض حتى النخاعْ
في كل البقاعْ
أعطني جنون حطين فأخيط للبحرْ
ثوب عرس أزرقْ
مطرزاً بخمائل الزنبقْ
أزفه لسماء بدرها يتألقْ
في يوم حطينْ.

آه أين أنا من حطينْ!
على لساني صخرْ
وعلى هامتي صخرْ
وصدري يرزح تحت الصخرْ
ويجري دمعي على صخرْ
أحس بأنني نفسي صخرْ
وعلى صخوري سارت كل الخنازيرْ
راسمة عليها أقدامها.
أين أنت صلاح الدينْ
تدحرج صخرة الأيام عني
تفتت مني صخوري؟

كيف أحنى البرج رأسهْ؟
والدب قد أخذ اليمامة عرسهْ
وتولى ذئب قوم حرسهْ
والجرذ جال وصال بأسهْ

يا عالماً تغتال اليد فيه نفسهْ
ويحني العقل للحمق رأسهْ
ويخفي النقاء فيه رجسهْ
عالماً يحفر في عرسهِ رمسهْ.

وأنت يا شاعراً في الليل تحدقْ
تقيس أبعاد السواد وأنفاسك تحرقْ
علّ نوراً كنصل إبرة يخرقْ
عتمة الكون ويهمس بالبشرى.

غريبٌ أنت في بلد غريبْ
يمامة تهزج في الغصن القريبْ
تسكب في صدرك أشواق حيرى
أحب ذاك أم بهتانْ
كم أرّقتك ليالي الخذلانْ
كم عذبك السجن والسجانْ!

لحظة صبرٍ، لحظة صبرْ
بين الحقيقة والجنونْ
لحظة صبرْ
بين القدس وحطينْ
لحظة صبرْ

يسرى الأيوبي